أطفال حول الرسول صلى الله عليه وسلم

(٤)



إبراهيم محمد حسن الجمل

دار الفضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبدُ اللَّهِ بن عَمْرو
(رَضِى اللَّهُ عَنهُمَا)

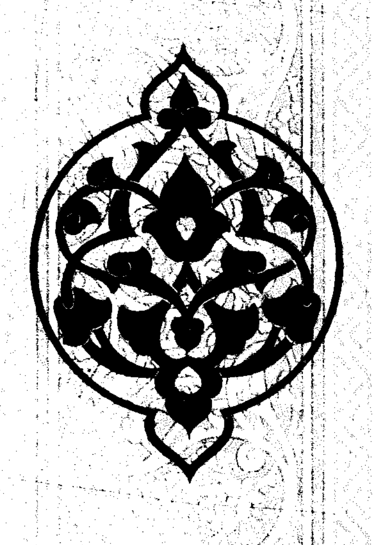
عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرو (رضى الله عنهما) من الشخصيات العظيمة منذ طفولته الأُولى ؛ فله مكانة كبيرة فى تاريخنا الإسلامى ، وهو جدير بالدّرس والمعرفة ، فجوانبه عديدة ، وأعماله مجيدة ، فحق علينا - نحن المسلمين - أن نطّلع على سيرته ، ونتتبع مراحل حياته .

★ ★ ★



مَنْ هُوَ ؟

إنه عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمى ، فهو من قبيلة قريش ، ومن بنى سهم الذين عاشوا بمكة ، وبنو سهم الذين ينتسب إليهم عبد الله (رضى الله عنه) ، اشتهروا فى الجاهلية بمناقب رفيعة ، فكانوا أصحاب السّيادة والسُّلطان والإشراف على الأموال المخصصة بمكة .



وكان لهم فى إدارة شئون قريش نصيبٌ كبير ، صاروا به ذوى بأس وكرم وعزّ ، فكان الناس يحتكمون إليهم فى الخصُومَات ، وما يقع بينهم من مُنازعات وحُرُوب .

فجدّه : العاص بن وائل ، كان من سادة العرب وأَشرافهم فى الجاهلية ، كان تاجراً كبيراً يتزعم القوافل التى تذهب إلى البلاد المجاورة فى اليمن والشام وغيرهما من البلاد .

وكانت له منزلة خاصة بين عُظَماء قريش بما اجتمع فيه من قوَّة الشَّخصية ، والاعتزاز بالنّفس ، واتِّساع التجارة ، وكثرة الأموال .

ولما جاء رسول الله ﷺ بالرِّسالة عاداه العاص ، وعادى المسلمين ، ووقف ضدّهم .

ولما مات القاسم ، ثم عبد الله ابنا النبى ﷺ قال : إن محمداً أبتر – أى لا ذكر له بعد موته – فأنزل الله

تعالى فيه قوله : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ [1] أى المقطوع من الخير فى الدنيا والآخرة .

ومات العاص بعد هجرة النبى ﷺ بشهر ، وعمره ٨٥ سنة ، وهو على الكفر .

أَما أَبوه : فهو عمرو بن العاص له تاريخ مشهور فى الجاهلية واشتهر عمرو (رضى الله عنه) بالتّفوق منذ صغَره ، فقد تعلَّم ركوب الخيل كرفاقه من أبناء العُظَماء من قريش فى سِنٍّ مُبكِّر ، وتَعلَّم استخدام السَّيف فى المنازلة والمبارزة ، ونبغ فى الكرّ والفرّ ؛ وتَعلَّم السِّباحة وبرع فى ذلك كله .

ولما جاء الإسلام وقف ضدّ المسلمين، ثم جاء إسلامه متأخراً ، فقد أسلم قبل الفَتْح بستة أشهر ، وعرفه التاريخ فى الإسلام قائداً ماهراً ، وداهية من دَوَاهى العرب ، وله من المواقف وبُعْد النّظر والشَّجاعة والفَصَاحة ما يُضرب به المثل .

أَما أُمُّه : فهى ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمى ، لها مواقف قبل إسلامها ، وبخاصة يوم (أُحُد) فلقد كانت واحدة من اللَّاتى نادين بالحرب وتحميس الناس فى مكة ضد المسلمين ، ثم أَسْلَمتْ وبايَعتْ النَّبىّ ﷺ يوم الفتح ، فأخلصت فى إسلامها وعبادتها لله – عَزَّ وَجَلَّ – .

★ ★ ★

---

(١) سورة الكوثر ، الآية (٣) .

وإذا كان هذا هو أصل عبد الله (رضى الله عنه) وشجرته التى انتسب إليها ، فقد أثبتت الأبحاث التى أجراها عُلَماء الاجتماع والنّفس أَنَّ العُظَماء والموهُوبين عادةً يكون أبناؤهم عظَماء ، ولقد تحقق هذا فى شخصية عبد الله (رضى الله عنه) ، وما امتاز به من ذكاء وفطْنة ؛ فذلكَ يرجع فى الغالب إلى عوامل وراثية وبيئية كان لعبد الله (رضى الله عنه) نصيبٌ وافر منها فى تكوينه ومَوْهبته ، وإظهَار شخصيته الفَريدة .

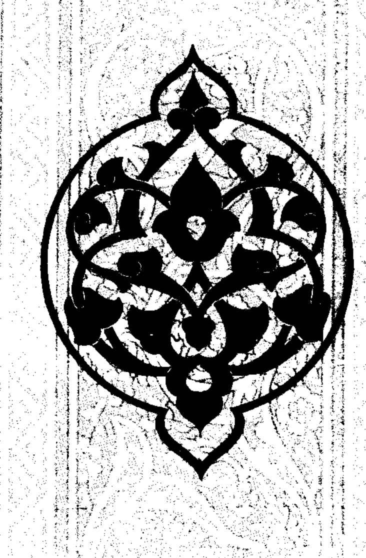
فإذا كان هذا هو نسب عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) ، من العَظَمة والشَّرف ، فكيفَ لا يخرج من هؤُلاءِ العُظَماء بَطَلٌ ، ومن تلكَ الأُسود شِبْلٌ ؟



نَشْـأَتُـهُ (رَضِىَ اللَّـه عَنـهُ)

نشأ عبد الله (رضى الله عنه) فى رعاية هذه الأُسرة ذات المكانة العالية فى حياة جدِّه العاص ، وأبيه عمرو (رضى الله عنه) ، وكانت ولادته قبل الهجرة ببضع سنوات ، ففتح عينيه فى طفولته الأُولى على الصِّراع بين الحق والباطل .

رأى عبد الله (رضى الله عنه) كل ما دار بين عُظَمَاء مكَّة ، ومنهم جَدُّه العاص ، وأبوه عمرو من الإهانات ، وتعذيب المستَضْعفين الذين لا يَجدُونَ من يَحْميهم .



عرف ما كان من عمِّه هشام بن العاص ، وقد ترك ما عليه أبوه العاص وآمن بما جاء به رسول الله ﷺ ، واتَّبع دينه ، فلَمَّا كَثُرَ إيذاؤه فرّ بدينه إلى الحبشة ، وظل بها تاركاً كُلَّ شىء حتى عَلمَ بهجرة رسول الله ﷺ ، وأبى بكر (رضى الله عنه) ، فجاء ليستعدّ للهجرة إلى المدينة ليلحق برَكْب المؤمنين ، ولكن أهله منعُوه وحَبسُوه ، ولَمْ يستطع أن يُهَاجر إلى المدينة إلَّا فى غَزْوَة (الخَنْدَق) .

لقد كان عبد الله (رضى الله عنه) يميل بقلبه للإسلام والمسلمين ، لكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً أو يقول كلمة خوفاً من أُمّه وأَبيه وجدّه ، فصَبرَ حتى جاوز العاشرة ، واستطاع أن يفرّ إلى المدينة ليسلم ويتَّبع ما جاءَ به رسول الله ﷺ .

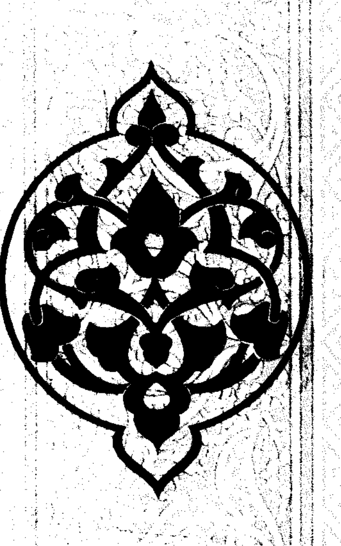
ذَكَاءٌ وَإِجَادَة

امتاز عبد الله (رضى الله عنه) بالذَّكاء الشَّديد ، وسُرعة الفَهْم والحفْظ ، فتابع أبوه عمرو نموه ، وعمل على إنماء تلكَ الموْهبة ، وكانَ يتردّد على بيت ضيافة العاص وابنهُ عمرو طوائف كثيرة منهم اليهود والنصارى وغيرهم ، ومنهم المتميِّزون بثقَافتهم المتنوِّعة ، وبحرصهم الشديد على ألَّا يعلم علمهم وثقافتهم أحد غيرهم ، ولكن حبّهم لعمرو جعلهم يقُومون بعمل يُقَربهم إليه .

طلب منهم أن يُعَلِّموا عبد الله (رضى الله عنه) الكتابة والقراءة ، فاستَجَابُوا لما طُلب ، وتعلَّم القراءة والكتابة فى وقتٍ لم يكُنْ يعرفها فى مكَّة كلّها إلَّا عدد قليل لا يتجاوز فى وقتها السَّبعة عشَر فرداً

رأى بعض أصدقاء أَبيه ذكاء عبد الله (رضى الله عنه) النَّادر ، فتطَوَّع أَحدهُم ، وأخذَ يُعلِّمهُ السِّريانية ، فنالَ منها قدراً كبيراً فى وقت قليل ، فكان حظّه من العلْم والثَّقافَة فُرصةً لم يحصل عليها غيره .





إِسْلَامُهُ وَهِجْرَتُهُ

لم يطمئن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) ، وتستريح نفسه إلَّا بترك دين الشِّرك والإيمان بدين الله - عَزَّ وَجَلَّ - الحق ، فيتَّبع ما جاء به رسول الله ﷺ ، فكان إيمانه عن معرفة وثقة ووفاء بما عند الله من جزاء وثواب .

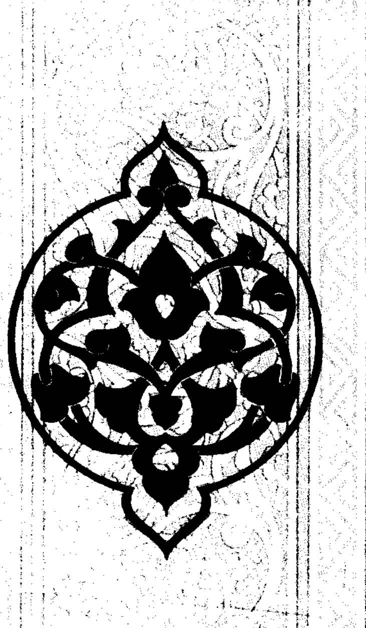
فَكَّر عبد الله (رضى الله عنه) فى أن يسلم وجهه لله - عَزَّ وَجَلَّ - فى السَّنة السابعة من الهِجْرَة ، وقد استقلّ بنفسه ، وأصبحَ لهُ فكره ورأيه ، لم يعتمد على أحد سوى نفسه ، فهى التى تَرسم لهُ الطَّريق وتُخطِّط له ما يُفيد وينفع .

كان عبد الله (رضى الله عنه) فى الرابعة عشرة من عُمره ، فى مرحلة يطلق عليها (مرحلة البلُوغ) ، هذه المرحلة هى مرحلة التَّكوين العَقْلى والنَّفسى، وقد يَصحَبُهَا صَحْوَة دينيَّة تمتاز باليقظة الدِّينيَّة التى كان لها أكبر الأَثر فى حياة عبد الله (رضى الله عنه) ، فهى التى دَعتْهُ إلى الدُّخول فى الإسلام ، وهى التى دَعتهُ إلى أن يتَمسَّك بكل ما يدعُو إليهِ الدِّين ، بل لقد فاقَ كل حماس وإخلاص ؛ لأنه وضَعَ أمامهُ الخوف من الله - عَزَّ وَجَلَّ - ومن عَذَابه فى الآخرة ، وفى نفس الوقت يَطْلُب الثواب والجزاء منه سبحانه وتعالى ، ممَّا كان له أكبر الأَثر فى حياته بعد إسلامه .



هاجر من مكة إلى المدينة ، ودخل على رسول الله ﷺ وهو جالسٌ مع أصحابه ، فبدأَ بالسَّلَام ، ورَحَّبَ به المسلمون ، وتَكلَّم واحدٌ مِنَ الصَّحابَة فقالَ : يا رَسُول الله إِنهُ (العاص) بن عَمْرو بن العاص ، فَرحَّب به رسول الله ﷺ وقال له : أَنتَ لَسْت العاص ، وإنما أنت (عبد الله) ومنذ ذلك الوقت صار ينادى عبد الله (رضى الله عنه) .

قال عبد اللّه (رضى الله عنه) : جئت - يا رَسُول الله - وأَنا مؤْمن بكل ما جئت به ، ومُتَّبعٌ لك فى السَّرَّاء والضَّرَّاء ، وإِنِّى أَشْهَدُ أَن لَا إِلهَ إِلَّا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُول الله ﷺ .



فدعا له رسول الله ﷺ بالخير والبركة ، فكان موفَّقاً فى حياته كلها إلى أن اختاره الله - عَزَّ وَجَلَّ - لجواره .

★ ★ ★

كانت فرحة عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) بدخوله الإسلام عظيمة ، فقد راح يطَّلع على أحوال المسلمين ، ويدرس ما هُمْ عليه دراسة دقيقة . دَرَسَ الأُسس التى بُنِيَ عليها الإسلام من : صلاة ، وصيام ، وقراءة للقرآن ، ووجّه اهتمامه وكل قُوَّته إلى أَنْ يَغْترف من هذا المنهل مُستَعيناً بكل ما يملك لدرجة الإرهاق الزائد عن طاقة البشر ، وكان له مع رسول الله ﷺ مواقف نَهَاه فيها عن التّوغل فى عبادته ، مبيِّناً أن هذا

الدِّين قوى ، وما من أحد حاول أن يغلبه إلَّا غلبه ، وعلى الإنسان أن يرفق بنفسه ، فقد يأتى اليوم الذى يعجز الإنسان فلا يستطيع أن يُوفِّى الدِّينَ بعض حقه .

لقد استمع كثيراً لتعاليم رسول الله ﷺ ، وكان له ناصحاً وموجهاً ﷺ .

★ ★ ★

زَوَاجُــهُ

أسلم عَمْرو بن العاص (رضى الله عنهما) قبل فتح مكة ، ورأى عبد الله (رضى الله عنه) وقد استسلم للعبادة بطريقة لم تسترح نفسه لها ، فهو لا يَنقَطع عنها ليلًا ولا نهاراً من قراءته للقرآن والصَّلاة وقيام اللَّيل والصِّيام ، ونسى نصيبه من الدنيا فأحب أن يشغله ، فاختارَ له امرأة جميلة ذاتَ حَسَب ونَسَب ، لعلَّها تَشْغَلُه قليلًا عمَّا هو فيه من المواظبة الزَّائدة فى عبادته .

★ ★ ★

كان عمرو (رضى الله عنه) يطمئن على عيشة ابنه مع زوجته ، فقد وصل إلى مَسَامعه ما يؤَكد انْشغَال عبدالله (رضى الله عنه) بالعبادة عن زوجته، فأَرادَ أن يتأكد منها .

ذهب عمرو (رضى الله عنه) إلى كُنّته (زوجة ابنه) فسألها عن زوجها ، وأحواله معها ؟

فقالت : نِعْم الرَّجل من رجل ، لم يطأ لنا فراشاً ، ولم يفتش لنا كَنَفاً – أى لم يقربنا – منذ أتيناه .

فأتى عمرو ابنه ، ولامهُ لوماً شديداً حتى عضّهُ بأَسنانه ، وشَدَّد فى كلامه ، ثم قالَ : أنكحتك امرأة ذاتَ حَسَب فَضَيَّقت عليها ، وفعلت ما فعلت ، ثُمَّ انْطَلقَ إلى رسول الله ﷺ ، وحكى له ما كان من عبد الله (رضى الله عنه) مع زوجته .

فقال ﷺ : ألقنى به ... فلَمَّا جاءَ عبد الله (رضى الله عنه) قال له ﷺ : سَمِعْتُ أَنَّكَ تَصُوم النَّهَار وتَقُوم اللَّيل ، فهل هذا صحيح يا عبد الله ؟

قال عبد اللّه : نعم يا رسول الله !

قال ﷺ : « لكنِّى أَصُوم وأُفْطِر ، وأُصَلِّى وأَنام ، وأَمَسُّ (أَتزوج) النِّساء ، فَمَنْ رَغبَ (أعرض) عن سُنَّتِى فَليسَ منِّى »(١) .

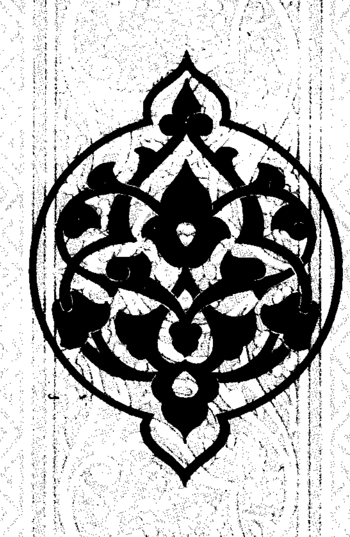
فتأَثَّر بما سمعَ من رَسُول الله ﷺ ، وحاول أن يُصلح من شأنه ، وأن يقوم بواجبه نحو نفسه وأهله ، وأن يسير على الخطوات التى رسمها له رسول الله ﷺ .

★ ★ ★

(١) أحمد (١٥٨/٢) .

عَبدُ اللَّـه (رَضِىَ اللَّـه عَنهُ) وَالقُـرآن

عندما أسلم عبد الله (رضى الله عنه) كان قد نزل الكثير من سُوَرِ القرآن وآياته ، فراح يَستَمع إليه من رسول الله ﷺ ومن الصحابة (رضى الله عنهم) فيحفَظهُ ويكتبه ، ومِنَ الَّذينَ لازمَهُم زيد بن ثابت (رضى الله عنه) ، وكانت عنايته بالقرآن فائقة ، فواظب على الجلوس إليه ، وكتابة ما نزل من قبل على الرَّسُول ﷺ ، حتى أكمل كتابة القرآن وجمعه .



★ ★ ★

كان للقرآن منزلة خاصة فى حياته ، وكان يتمنَّى ألَّا يتوقَّف عن تلَاوته آناء اللَّيل ، وأَطْراف النَّهار .

وبلغَ رسول الله ﷺ أَنَّ عبد الله بن عَمْرو (رضى الله عنهما) يقرأ ما نزل من القرآن كل ليلة .

فقال ﷺ لعبد اللّه : « إِنِّى أَخشى أَن يَطُول بكَ الزَّمان فَتملّ ... اقرأْهُ كُلّ شَهْر » .

قال عبد اللّه (رضى الله عنه) : يا رسول الله ﷺ دعنى أستمتع من قوتى وشبابى .

قال ﷺ : « اقرأْهُ كُلّ عشرين يَوماً » .

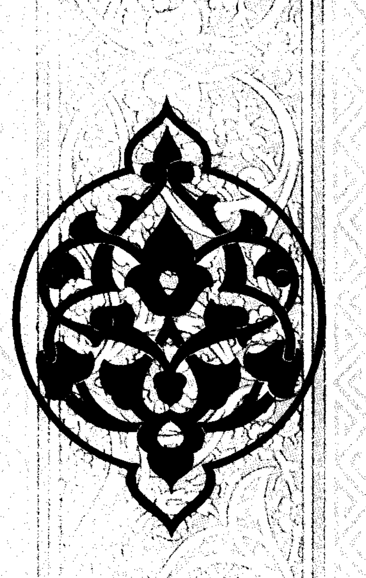
قال عبد اللّه (رضى الله عنه) : يا رسول الله ﷺ دعنى أستمتع من قوتى وشبابى .

قال ﷺ : « اقرأْهُ كُلّ سبع »[1].

قال عبد اللّه (رضى الله عنه) : يا رسول الله ﷺ دعني أستمتع من قوتى وشبابى .

فلما أَبَى حذَّرهُ النَّبيّ ﷺ قائلًا : « إِنَّ لجسمك عليكَ حقًّا ، وإِنَّ لعينيكَ عليكَ حقًّا ، وإِنَّ لزوجكَ عليكَ حقًّا »[2].

★ ★ ★



تَدوِينُ عَبد اللّه (رَضِىَ اللّهُ عَنهُ) للسُّنة

بدأ عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) يُدوِّن أحاديث رسول الله ﷺ عقب فتح مكة الذى كان فى السَّنة الثامنة من الهجرة .

قال عبد اللّه فى ذلك : كنتُ أكتب كُلّ شىء أسمعهُ مِنْ رَسُول الله ﷺ فنهانى الصَّحابة ، وقالوا : تكتب كل شىء تَسمعهُ من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلَّم فى الغَضَب والرِّضا ؟ فأَمْسَكت عن الكتابة ، فسألت رسول الله ﷺ فقالَ : « اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرجَ منِّى إلَّا حقّ »[3].

وروى أبو هريرة (رضى الله عنه) قال : « كانَ عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) يكتب بيده ، ويعى بقلبه ، ليكون ذلك آكد لحفظه ، وساعده على

---

(١) أحمد (٢٠٠/٢) .   (٢) النسائى (٢١١/٤) .
(٣) أحمد (١٩٢/٢) ، والدارمى (١٢٥/١) .

ذلك مهارته فى الكتابة حتى أنه كان يكتب بالعربية والسِّريانية ، وأنه كانَ يكتب الأحاديث فى حضرة الرَّسُول ﷺ » .

★ ★ ★

كان شديد الحرص على كتابة أحاديث رسول الله ﷺ ، ودلَّتْ النصوص التى نقلها أنه كان ملازماً لرسول الله ﷺ ، وقد حمل عنه علماً كثيراً وكان ملتزماً بالصِّدق فيما سمعَ ونقل ، ولم تكن كتابته لضعف الذَّاكرة بدليل شهادة السيدة عائشة (رضى الله عنها) زوج الرسول ﷺ قالت : « والله لقد حفظَ عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) ما أراه زاد فيه ولا نقص » ، ودَلَّتْ الشَّواهد على أنه كان يكتب ليكون آكد لحفظه .

★ ★ ★

استمع عبد الله (رضى الله عنه) لتوجيهات رسول الله ﷺ ، واتخذ من الرسول ﷺ مربياً ومعلماً وهادياً ، وأَحبّ رسول الله ﷺ وأحبَّهُ ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يكثر له النُّصح والإرشاد .

★ ★ ★

الصَّحِيفَةُ الصَّادِقَة

كان عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) حريصاً على أن يُدوِّن أحاديث رسول الله ﷺ ، وكان يسمى هذا السِّجل الذى يدون فيه الأحاديث (الصَّحيفَة الصَّادقَة) .

قال عبد اللَّه بن عمرو (رضى الله عنهما) : استأذنت النَّبىّ ﷺ فى كتابة ما سمعته منه ، قال : فأَذنَ لى ، فكتبته .

قال مجاهد : رأيت عند عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) صحيفة فسألته عنها ؟ فقال : هذه (الصادقة) فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ، ليس بينى وبينه فيها أحد .

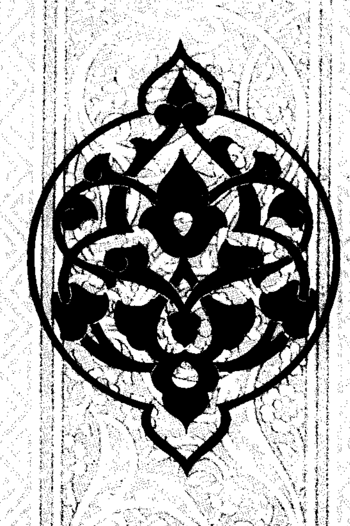
وكان يقول (رضى الله عنه) : ما يرغبنى فى الحياة إلَّا خصلتان : الصادقة والوهط ، **فأما الصادقة** : فصحيفة كتبتها عن رسول الله ﷺ ، **وأما الوهط** : فأرض تصدق بها عمرو بن العاص (رضى الله عنه) . كان عبد الله (رضى الله عنه) يقوم على رعايتها ، وهذه الأرض كانت بستاناً بالطَّائف .



اعْتزَازُ عَبد اللَّه (رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ) بالصَّحيفَة

كان عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) يعتز بالصحيفة . يدل على ذلك ما قاله تلميذه مجاهد حينما طلب منه أن يريه هذه الصحيفة ، فامتنع عليه عبد الله ابن عمرو (رضى الله عنهما) ، وقال فى اعتزاز : هذه (الصادقة) فيها ما سمعتُ من رَسُول الله ﷺ ، وليسَ بينى وبينه أحد .

ونذكر بعضاً من الأحاديث التى فى الصحيفة التى استفاد منها جماعة من الرّواة منهم شفيّ بن مانع ، بعد أن ورثها حفيد عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) شعيب من ولده محمد .



وهذه بعض الأحاديث التى وردت فى الصحيفة :

١ - « جُعلَتْ لى الأَرض مَسجداً ، وطهُوراً » [١] .

٢ - « مُروا صِبْيَانكُم بالصَّلَاة إِذَا بَلَغُوا سبعاً » [٢] .

٣ - « لَا صَلَاة بَعد العَصر حتَّى تَغْرُب الشَّمس » [٣] .

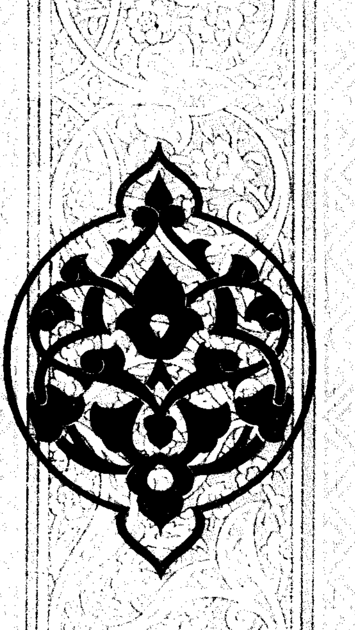
٤ - « نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ البَيْع والشِّرَاء فى المَسجد » [٤] .

---

(١) أحمد (١٦١/٥) . (٢) أحمد (١٨٠/٢) .

(٣) مسلم (صلاة المسافرين - رقم ٢٨٨) ، والنسائى (٢٧٨/١) .

(٤) أحمد (٢١٢/٢) .



٥ - « لَا تُنْكَح - لا تتزوج - المَرأَة علَى عَمَّتها وَلَا خَالتهَا » (١).

٦ - « لَا يرجع أَحد فى هبته إِلَّا الوَالد مِنْ وَلَده » (٢).

٧ - « البَائع والمُبتَاع بالخيَار حتَّى يَتفَرَّقَا » (٣).

٨ - « إِنَّمَا النَّذْر ما ابتغى بهِ وجه الله عَزَّ وَجَلَّ » (٤).

٩ - « مَنْ قَتلَ مُؤْمناً مُتعمِّداً يَدفَع إِلَى أَوْليَاء القَتيل الدِّيَة » (٥).

١٠ - « مَنْ قُتِلَ خَطَأً فَديَته مائة مِنَ الإِبل » (٦).

١١ - « كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا والبسُوا فى غير إِسْرَافٍ وَلَا مخيلة » (٧).

١٢ - « النَّهى عن خَاتم الذَّهَب والحَديد ،وإباحة الوَرِق : أى الفِضَّة » (٨).

١٣ - « لَيسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرحَم صَغِيرنَا ، ويعرف حَقّ كَبيرنَا » (٩).

١٤ - « أَلَا أُخْبرُكُم بأَحبكُم إِلىّ ، وأَقْربكُم مِنِّى مَجلساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسنكُم أَخْلَاقاً » (١٠).

---

(١) مسلم (نكاح - رقم ٣٧) . (٢) النسائى (٢٦٤/٦) .
(٣) أحمد (١٨٣/٢) .
(٤) أحمد (١٨٣/٢ - ١٨٥) .
(٥) الترمذى (١٣٨٧) . (٦) النسائى (٤٢/٨) .
(٧) أحمد (١٨١/٢ ، (١٨٢) .
(٨) الترمذى (٢٨٠٨) .
(٩) الترمذى (١٩١٩ ، ١٩٢٠) . (١٠) أحمد (١٨٥/٢) .

إِجَـادَتُـهُ السِّـريَانيَّـة

كان عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) معجباً إلى حد بعيد بالقراءة والاطلاع بلغته فى الكتب المدوَّنة باللُّغة العربية ، ولا نستطيع إلَّا أن نقول : إن عبد الله ابن عمرو (رضى الله عنهما) سبق زمانه وكأنه رغم تمكنه من علُوم الدِّين واللغة إلَّا أنه كان يُريد أن ينفتح إلى مواد أُخرى كالانفتاح على التاريخ العام للبلاد المحيطة به ، والتى فتحها المسلمون والدِّيانات التى هم عليها .

فدفعه ذلك إلى إجادة السريانية ، وكبرت هذه الفكرة حينما اشترك فى فتوحات بلاد فارس والبلاد التى كان يحتلها الرُّومان مِنَ الشَّام .

وقد تنبأ له النَّبىّ ﷺ فى حياته ، فقد روى أَنَّ عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) قالَ : رأَيت فيما يرى النائم ، لكأن فى إحدى أصبعى سمناً وفى الأُخرى عسلًا ، فأنا ألعقهما ، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « تقرأ الكتَابَيْن التَّورَاة والفُرقَان »[1] فكان يقرؤهما ، ولذلك سُمِّى بـ (قارئ الكتابين) .

★ ★ ★

---

(١) أحمد (٢/٢٢٢) .

روى ابن خليفة قال : رأيت عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) يقرأ السريانية ، أما متى تعلمها ؟ فيرجح أنه أجادها فى أثناء فُتوحات الشام ... ، وكان أبوه أحد القُوَّاد العظام فى هذه الفتوحات ، وقد شهدها معه ابناه عبد الله ومحمد (رضى الله عنهما) ، وكانت راية عمرو مع ابنه عبد الله (رضى الله عنهما) فى موقعة (اليَرْمُوك) ، وكانت اللغة السريانية منتشرة فى هذه البقاع على يد اليعاقبة ، ومدون بها كثير من المؤَلفات القَيِّمة ، وقد ذكروا أن عبد الله (رضى الله عنه) أصابَ زاملتين من كتب أهل الكتاب يوم (اليَرْمُوك) ، وكانَ يُحدِّث الناس بما فيها ، وكان بعض الناس لا يحب أن يسمع هذا الكلام ، فقالوا لابن عمرو (رضى الله عنهما) : حدّثنا عن رسول الله ﷺ ، فكان ممَّا قاله : « المُسلمُ مَنْ سَلمَ المُسلمُونَ مِنْ لسَانهِ ويَدِهِ »[(١)] .

ويظهر أن شغف عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) بالاطلاع على هذه الكتب هو الذى دفعهُ إلى تَعلُّم تلكَ اللغة فتعلَّمهَا وكانت منبعاً ثانياً من منابع ثقافته الواسعة .



---

(١) البخارى (٩/١) ، ومسلم (الإيمان / ٦٥) .

جِهَـــادُهُ

حضر عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) الغَزَوَات فى عهد رسول الله ﷺ ، وله أحاديث وذكريات فى كل غَزْوَة غزاها مع رسول الله ﷺ ، فقد كان معهُ فى فتح مكَّة ، وسمعهُ حينما قال : « كُلّ حلف كانَ فى الجاهلية لم يزدهُ الإِسلام إلَّا شدَّة »[1] .

ورآه وقد ألقى خطبته المشهورة وهو مسند ظهره إلى الكعبة .

ثم رافق الجيش فى غَزْوَة (حُنين) ، وكان بجوار رسول الله ﷺ حينما انتصر المسلمون ، وجاءت وفُود هَوَازن إلى رسول الله ﷺ مسلمة طائعة .

وكان مع رسول الله ﷺ فى غَزْوَة (تَبُوك) حينما قام رسول الله ﷺ فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسُونَه حتَّى إذا صلَّى ، وانْصَرف حَدَّثهُم بما أُوحِىَ إليه فى تلكَ الليلة بما أعطاه الله - عَزَّ وَجَلَّ - من فَضْله وكرمه وانتصاره على أعدائه .

★ ★ ★



(١) أحمد (٣١٧/١ ، ٣٠٥/٢) .

ولقد كان لعبد الله (رضى الله عنه) مكانة كبيرة فى عهد رسول الله ﷺ فيما يتصل بالشئون الحربية ، يدل على ذلك ما رواه عبد الله (رضى الله عنه) قال : « أمرنى رَسُول الله ﷺ أن أبعث جيشاً على إبل كانت عندى ، فَحَمَلت النَّـاس عليها حتى نَفدت الإبل ، وبَقيَتْ بقيَّة مِنَ النَّاس لا إبلَ لَهُمْ ، فقال لى النَّبىّ ﷺ : ابتع علينَا - أى اشترى - إبلًا بقلائص [1] من إبل الصَّدَقَة إلى محلها حتى نفّذت ذلك البعث » [2] .

ظل عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) بجانب رسول الله ﷺ يُشَارك فى الأعمال التى تَهُمّ المسلمين إلى أن تُوفى رَسُول الله ﷺ .



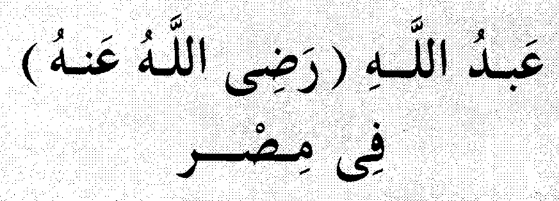
(١) **قلائص** : جمع قلوص ، ومعناها : الإبل .
(٢) أحمد (٢١٥/٢ ، ٢١٦) .

اشْتِرَاكُهُ فى مُحَارَبَةِ الـمُرتَدِّين

كانَ عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) واحداً من الذين اشتركوا فى محاربة المرتدين ، وكان تحت قيادة أبيه عمرو بن العاص (رضى الله عنه) أحد القُوَّاد الذين اختارهم أبو بكر (رضى الله عنه) وحاربوا المرتدين ، وانتصروا عليهم ، ورجعوا إلى قواعد الإسلام كما كانت فى عهد رسول الله ﷺ .

ثم وجه الخليفة أبو بكر (رضى الله عنه) الجيوش بعد هذا الانتصار إلى الشام ، وكان عمرو بن العاص (رضى الله عنه) قائد الحملة على فلسطين ... وكان عبد الله مع أبيه فى تلك الحملة ، وفى موقعة (اليَرْمُوك) إحدى المعارك الكبرى فى الشام ، كان عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) يحمل راية أبيه عمرو (رضى الله عنه) ، حتى تم النصر على جيوش الرُّوم ، وقدمَ من المدينة الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، وكان أبو بكر (رضى الله عنه) قد تُوفى فى أثناء المعارك ، وخَلَفَهُ عمر ابن الخطاب (رضى الله عنه) قدم إلى الجابية لعقد الصُّلح مع قُوَّاد الرُّوم ، ففاتحه عمرو بن العاص (رضى الله عنه) فى فتح مصر وكانت الموافقة ، واستعد الجيش لدخول مصر بقيادة عمرو بن العاص (رضى الله عنه) ، وكان ساعده الأيمن ابنه عبد الله (رضى الله عنه) .

★ ★ ★



عَبدُ اللَّـهِ (رَضِى اللَّهُ عَنـهُ) فِى مِصْــر

دخل الجيش مصر بقيادة عَمْرو بن العاص (رضى الله عنه) ، وتَوالَتْ الانتصارات ، وكان عَمْرو (رضى الله عنه) يُتابع التَّحركات حتى يطمئن بنفسه على سير الجنود ، وكان ممَّا يشغل باله ، ويُريد أن يطمئن عليه ابنـه عبد الله (رضى الله عنـه) ، فكان دائم السؤَال عن أحواله ، وكان يرسل رسله إليه ليزداد أمناً وسلامة عليه .

كان عبد الله بن عمرو(رضى الله عنهما) من أشد المتحمِّسين للجهاد فى سبيل الله ، وكان بجانب (وردان) مولى عَمْرو بن العاص (رضى الله عنـه) حـامل اللواء فى مقدِّمة المسلمين ، وكان عبـد الله بن عَمْرو (رضى الله عنهما) يُقاتل إلى جنبه ، وأَصَابت عبد الله بن عَمْرو (رضى الله عنهما) فى إحدى المعارك جراحات بالغة أضْعَفَتهُ ، فالتفتَ إلى جـاره ، وقال له : يا (وردان) لو تأخَّرت قليلًا ، يُريد أن يُوقف القتال مؤَقتاً حتى يَضْمد (يُعالج) جراحه ويستريح ، وينفس عن روحه .

فأجابه (وردان) وهو يندفع أمامه ، واللواء فى يده ، والحماسة آخذة منه : « الرَّوْح تُريد ... الرّوح أمامك ، وليس خلفك » .

فاندفع عبد الله بن عَمْرو (رضى الله عنهما) بسماع هذا الجواب يقاتل متقدِّماً غير عابىء (مهتم) بجراحه .

عرف أبوه ما أصابه ، فبعث رسولًا يسأله عن حاله ، فكان جواب عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) أن تمثل بقول الشاعر :

أقول لها إذا جشأت وجاشت
مكانك تحمدى أو تستريحى

ورجع الرسول بجواب عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) ، فرضى أبوه عنه وقال : « هو ابنى حقًّا » .

وبهذا الصَّبر وهذه الحماسة ، وبهذا الإقبال على الموت الذى لا يهابونه ، فتح المسلمون مدينة كريون وحصنها - وهى قريبة من الإسكندرية - وهزموا الرُّوم عنها ... وأصبح عهد صُلْح بين عمرو (رضى الله عنه) والمقوقس ، وكان عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) أحد الشهود على هذا الصلح .

★ ★ ★



بُكَاءٌ وورَعٌ

إذا كان عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) فارس العُبَّاد ، وقائد الزهاد ، وراهب الليل ، وحمامة المساجد ، فإنه بحق إمام أهل الورع ، وريحانة النساك .

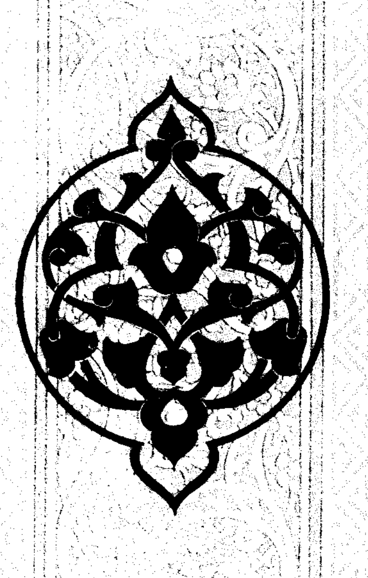
فتميز ابن عَمْرو (رضى الله عنهما) بصفَاء قَلْب ، ونقَاء سريرة ، ممَّا جعل الدّمعَة تخرج من عينه بسرعة البرق ، وانهمار المطر ، فكان (رضى الله عنه) من البكائين .

ومن علم أنه سيقف بين يدى الله - عَزَّ وَجَلَّ - ، وتُعرض عليه الحسَنَات والسَّيئات ، وأَنَّ هناك جنَّة ونار لابد أن يكون بين الورع والبُكاء .

ولقد عاش عبد الله بن عَمْرو (رضى الله عنهما) بين الورع والبكاء ، فكان الورع مقامه والبكاء حاله .

وها هى أُم يعلى بن عطاء تحكى لنا قصتها مع عبد الله بن عَمْرو (رضى الله عنهما) فتقول : كان عبد الله بن عَمْرو (رضى الله عنهما) يبكى بكاءً شديداً حتى رمضت عيناه ، فكنت أَصنع له الكُحْل دواء لعينيه .





وكان عبد الله (رضى الله عنه) يقول : « لو أَنَّ رجلًا من أَهل النار أخرج إلى الدنيا لماتَ أهل الدنيا من وحشة منظره ، ومن ريحه ، ثم بكى عبد الله (رضى الله عنه) بكاءً شديداً » .

إن مثل هذه الشفافية التى غَمَرتْ قَلْب عبد الله (رضى الله عنه) لابد أن تصنع لنا رجلًا ورعاً زاهداً راغباً عن الدنيا مُقبلًا على الآخرة ، يحسب لكل شىء حسابه ، ويضع لكل شىء قدره حتى الكلمة التى تخرج من فمه وإن كانت فيها إشارة أو تلميح .

فهذا عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) لما حضرته الوفاة قال : « إنه كان خطب إلىّ ابنتى رجل من قريش ، وقد كان منى إليه شبيه بالوعد فوالله لا ألقى الله عَزَّ وَجَلَّ بثلث النفاق ، اشهدوا أنى قد زوجتها إياه »[١] .

وإن دلّ هذا فإنما يدل على ورع هذا الرَّجل الذى أراد أن يقف بين يدى الله – عَزَّ وَجَلَّ – طَاهر القلب مُجانباً للذَّنب .



(١) صفة الصفوة (١/٦٥٩) .

نَصَائحُ النَّبِىّ ﷺ لعَبد اللَّه (رَضِى اللَّه عَنهُ)

قال عبد الله (رضى الله عنه) للنَّبىّ ﷺ : يا رسول الله ! أخبرنى عن الجهَاد والغَزْو ؟

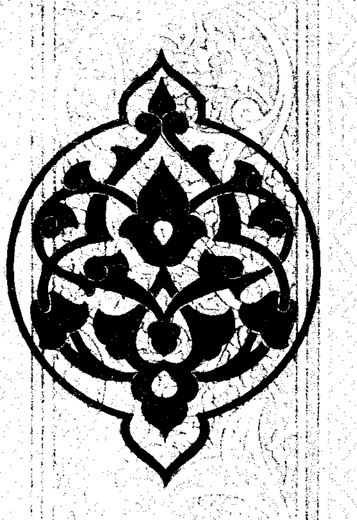
قال رسول الله ﷺ : « إن قاتلت صابراً مُحتَسباً بعثكَ الله صابراً مُحتَسباً ، وإنْ قاتلت مرائياً مكاثراً ، بعثكَ الله مرائياً مكاثراً .

يا عبد الله بن عمرو ! على أى حال قاتلت أو قُتلت بعثكَ الله على تلك الحال » [١] .

★ ★ ★

قال رسول الله ﷺ : « يا عبد الله بن عمرو ! كيف بك إذا بقيت فى حُثالة (جماعة) من الناس ؟ ... » [٢] .

★ ★ ★



روى عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكرت الفتنة ، فقال : « إِذَا رَأَيتُم النَّاسَ قد مرجت عهُودهُم ، وخَفَّتْ أَمَاناتهم ، وكانُوا هكذا وشبّك بين أصابعه .

قال عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) :

---

(١) أبو داود (٢٥١٩) ، والبيهقى (١٦٨/٩) .

(٢) البخارى (١٢٩/١) .

فقمت إليه ، فقلت : كيف أفعل عند ذلك ؟ جعلنى الله فداك ؟

قال رسول الله ﷺ : الزم بيتك ، واملك عليك لسانك ، وخُذ بما تعرف ، ودع ما تنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة »[1].

★ ★ ★

طَائفَةٌ مِنْ كَلَامِهِ (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُ)

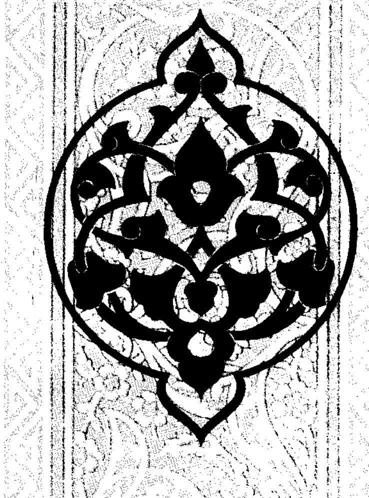
قرأ عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) كثيراً ، واطلع على ثقافات عربية وغير عربية، ومن أقوى مصادره ما قرأ عنها فى التوراة ، وما كان يطلع عليه من كتب الأقدمين ، فكوّن علماً غزيراً ، وتجارب كثيرة ، نذكر منها هذه الحكم والأخبار والتجارب :

قال عبد اللّه بن عمرو (رضى الله عنهما) :

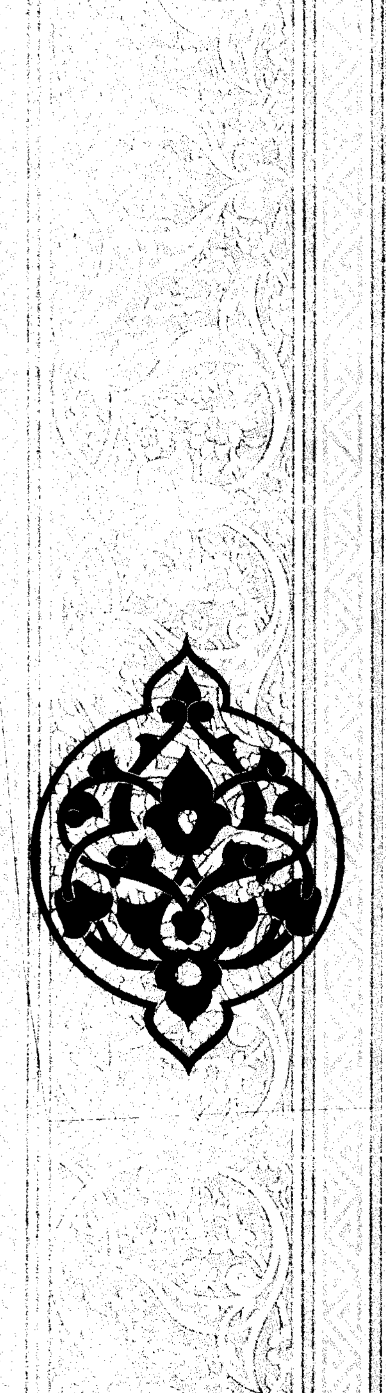
١ - مكتوب فى التوراة : « من حفر حفرة سوءٍ لصاحبه وقع فيها » .

٢ - مرّ عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) على رجل بعد صلاة الصُّبح وهو نائم ، فحرَّكهُ برجله حتى استيقظ ، فقال له : أما علمت أَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يطَّلع فى هذه الساعة إلى خَلْقهِ فيدخل ثلة (جماعة) منهم الجنَّة برحمته .

٣ - سأل عطاء بن يسار عبد الله بن عمرو (رضى



(١) البيهقى (١٩١/٨) ، وأحمد (٢١٢/٢) .



الله عنهما) : أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة ؟ فقال : أجل !

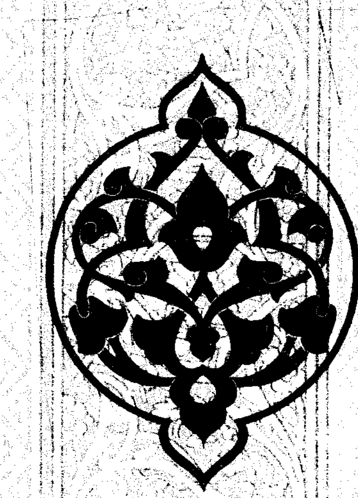
والله إنه لموصوفٌ فى التَّوراة ببعض صفَتهِ فى القرآن : « يا أَيُّهَا النَّبىّ إِنَّا أَرسلْنَاكَ شَاهداً ومُبَشِّراً ونَذيراً وحِرْزاً للأُميِّين ، أَنتَ عَبدِى ورَسُولى سَمَّيتكَ المتوكل ، ليسَ بفظ ولا غَليظ ، ولا صَخَّاب فى الأَسواق ، ولا يدفع بالسَّيِّئة السَّيِّئة ، ولكن يَعفُو ويغفر ، ولن يقبضهُ الله حتى يُقيم المِلَّة العَوْجَاء بأْن يقولوا : (لَا إِلٰهَ إِلَّا الله) ويفتح بها أَعْيناً عُمياً ، وآذاناً صُمًّا وقلُوباً غُلْفاً » .

٤ - أقام عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) فى مصر طويلًا ، فكانت مصدر إلهامه وحُبّه فدعا لها كثيراً ، وتوجّه إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - لها بالحفظ والعناية

يقول عبد اللّـه (رضى الله عنه) : « لما خلقَ الله آدم (عليه السلام) مثل له الدُّنيا : شرقها وغربها ، سهلها وجبالها وبحارها ، عامرها وخرابها ومن يسكنها من الأُمم ، ومن يملكها من الملوك . فلَمَّا رأَى مصر رآها أرضاً سَهْلَة ذاتَ نَهْر جارٍ ، مادته من الجنَّة تنحدر فيها البَركةَ ، ورأى جبلًا من جبالها مَكْسوًّا نُوراً ، لا يَخلُو من نَظَر الرَّبّ عَزَّ وَجَلَّ إليه بالرحمة ، فى سفحهِ أشجارٌ مُثْمرة فُروعها فى الجنَّة تُسقَى بماءِ الرَّحمة ، فَدعا آدم (عليه السلام) فى النِّيل بالبركة ، ودعا لأرض مصر بالرَّحمة والبرّ والتقوى ، وبارك على نيلها وجبلها سبع مرّات ، قال : ياأيها الجبل

المرحوم ، سَفحك جنةٌ ، وتُربتك مسْكةٌ ، تدفن فيها عرائس الجنة أرض حافظة رحيمة ، لا خلتك يا مصر بركة ، ولا زال بك حفظة ، ولا زال منك ملك وعز ، يا أرض مصر .. فيك الخبايا والكُنُوز ، ولك البرّ والثّروَة ، سالَ نَهْرك عَسَلًا ، أكثر رزقك ، ودرّ ضرعك ، وزكا نباتك ، وعَظُمَتْ بركتك وخَصبَتْ ، ولا زال فيك يا مصر خير ما لَمْ تَتجَبَّرى وتَتكَّبرى أو تَخُونى ، فإذا فَعلْت ذلك ، عداك شر يفور خيرك » .

فكان (رضى الله عنه) أَوَّل مَنْ دعا لها بالرَّحمَة والخصْب والرأْفة والبركة .







وَفَاتُهُ (رَضِى اللَّهُ عَنهُ)

تُوفِّى (رضى الله عنه) سنة ٦٥ هـ ، وكانت وفاته بمصر ، وكان لعبد الله (رضى الله عنه) داران : الأُولى عند باب المسجد الذى ابتناه عمرو بن العاص (رضى الله عنه) ، وداره الأُخرى الملاصقة بالمسجد ، وفيها دُفنَ عبد الله (رضى الله عنه) ، ومن الأسباب التى أَدَّتْ إلى دَفْنهِ بداره ، هو أَنَّ وفاته كانت فى وقت محاولة استرداد مصر من ابن الزبير ، وردها إلى بنى أُميَّة ، وكان يقود الحملَة مَرْوَان بن الحكم الأموى ، وحصل شَغَبُ الجند بين الفريقين المتنازعين فى الفُسطَاط عاصمة مصر فى ذلك الوقت ، ولم يتمكَّن من إخراج عبد الله (رضى الله عنه) ليدْفَن بالمَدَافن ، فَدُفنَ فى داره .

★ ★ ★

ومات عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) ، ولكن ذكراه كمَثَل أعلى للعُلَمَاء العاملين والعُبَّاد الصَّالحين ، وكان أَوَّل من دوَّن الحديث النبوى الكريم ، وستظل ذكراه عالقة فى ذهن قارئى التاريخ إلى يوم الدِّين .

★ ★ ★

وإلى اللقاء بمشيئة الله مع ..

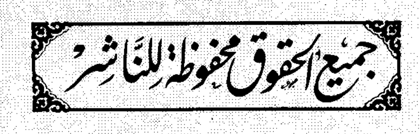
الحسن بن على

سبط النبى صلى الله عليه وسلم وريحانته

* * *

دار الفضيلة
للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة : القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضى -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس : ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة : ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات : دبى - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٣٠٧ / ١٩٩٦م

